حضرة الاستاذ الكبير حسن افندى حسين

نقدم لقراء الاخاء اليوم حضرة الكاتب القدير والاستاذ الكبير حسن افندي حسين صاحب التآليف العديدة والمقالات القيمة في الصحف والمجلات العربية . بل نقدم لهم كاتبا من كتاب مصر الافذاذ الذين لا يشق لهم غبار ولا يجارون بمضمار . وسيكتب لمجلة الاخاء سلسلة مقالات خاصة تحت عنوان « علم الاجتماع الجنائي » وهو موضوع جليل لم يطرقه كاتب على ما نعلم الى اليوم (الاخاء).

علم الاجتماع الجنائي

Criminologie

يقول الفيلسوف الشهير أرسطو : ليس في العالم شيء هو خير بذاته ، ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع ، وقد ينقلب الشر خيراً ، والخير شراً ، فلا تكون هنالك

حقيقة . أما خلائق الله فبينهم خيّر وفيهم شرير ، وفيهم لذة وفيهم ألم ، وليس سواء شقي وسعيد . على حين اننا كلما ذكرنا هذه الحالة ، وتصورنا مايحوطنا من مظاهر الاجتماع — وقع بخاطرنا مايساور هذه الحياة من جرائم وآثام يراها بعض العلماء ظاهرة طبيعية ، وينظر اليها البعض الآخر كأنها ظاهرة اجتماعية

يرى بعضهم ان الشر والاجرام لا يكون الا بعد أن تعمل الارادة عملها ويتدبر العقل تدبيره — فالانسان يريد ويفكر ثم ينزع الى ارتكاب الجريمة ، هنالك يكون القصاص ، وهنالك تجب العقوبة .

على ان أصحاب المذاهب الفلسفية لا يزالون مختلفين في مسألة الخير والشر ، وهل يولد المولود خيّراً أم شريراً ، ثم هل هو مخيّر أو مسيّر . وهاك لمعاً من آراء بعض الفلاسفة :

أما سبنسر فيقول في كتابه الاصول الأولية : ان الأوليات في الفلسفة مما لاطاقة للبشر عليها ، وان لاسابقة لنا على الأولين الا في المسائل الجزئية والمباحث الفرعية دون مايهمنا حله من أشكالات الاصول — فالمسائل باقية ، والجواب يختلف ، وكل جيل أخذ سبباً من تقدمه — يخطو ثلاث خطوات ثم يؤخر خطوة أخرى ، وبيننا وبين الغاية المقصودة — بون شاسع لايتصوره عقل البشر فضلا عن أن يتخطاه .

وأما كانت الفيلسوف الألماني المعروف فيقول ان موضوع الفلسفة ينحصر في ثلاث . من أين — وفي أين — والى أين . فاذا دخل الانسان هذا المجال من الفكر — لازال مترقياً شيئاً فشيئاً من المحسوس الى المعقول ، ومن المعقول الى ماهو أعمر منه وأرفع من درجات الوجود — حتى انتهى الى ماسماه الحكماء — علة العلل الواجب الوجود مطلقاً فيقف بحثه ، ويستريح فكره وفي هذا يقول افلاطون وارسطو : ان بداية الفلسفة التعجب ، ومنتهاها عدم التعجب ، حيث يتحقق الانسان ان الوجود لايمكن أن يكون على غير ماهو عليه — هنالك يزول اضطرابه .

يقولون : ان الفاعل أقدم من الفعل — اذا كان خروج القوة الى الفعل تغير — وكل تغير لابد له من مغيّر :

ويقولون : ان العقل أقدم من القوة بالسببية . ولما كانت القوة انما هي على المتقابلين معاً — كانت من حيث هي قوة غير موجودة وجوداً خيراً محضاً — بل مشوبة . وأيضاً فان القوة انما يقال فيها انها خير أو شر بالاضافة الى العقل ، فالعقل ضرورة أشرف من القوة .

وانما جئنا بهذه الفكر والنظريات الفلسفية نستعرضها لنستوضح فكرة توقيع العقوبة ، ولنتعرف مكان المسئولية ولاجل ان نستقصي البواعث والاسباب التي تحدو المخلوق الى التمرد على النواميس وعصيان القوانين والخروج على النظم الاجتماعية والعبث بهناء الغير

ونحن لا يخامرنا شك في أن الفلسفة عسرة الهضم لا تستمرئها الافهام في سهوله وليان ، ولا تهضمها الا العقول التي مرنت على استيعابها ، وانما الموقف يحتم علينا أن نرجع الى مسائلها فنناقش منها ما يتصل بموضوعنا لنوفيه حقه من البحث .

نقول : ولعل أول ما يقع نظر انسان على جريمة ترتكب أو عقوبة توقع يفكر على التوّ في الخير والشر ، وهل نحن مسيرون أو مخيرون — واذا كان الأمر مقدراً ولا بد من وقوعه فلماذا اذن العقاب والعذاب هذا عند أصحاب الاديان . والمتكلمين .

أما غيرهم ممن يجحدون « القضاء والقدر » ويكفرون بكل ما هو واقع من بعد الطبيعة . ولا يؤمنون الا بما هو محس ظاهر — فيقولون بالوراثة — القريبة والبعيدة ، وان المولود يرث الصفات الطبيعية والمكتسبة من آبائه وأجداده — فاذا كانت « الطبيعة » على رأيهم — هي التي سببت وهيأت الظروف والاحوال حتى ورث المجرم ميول اجداده ونزعاتهم الاجرامية فلماذا اذن يعاقب المذنب ولا تذنب له الا الظروف والحظ العاثر ؟

حسن حسين